الأنات الحـــائرة...(*)

للأستاذ راشد رستم

. . . وبعد فلست حائراً معك حيرتك مع الأنات أو حيرة الأنات معك ، أو حيرة الناس من هذه الأنات ، فلقد رأيتك بالأمس فى الأمس باكياً ، وسمعتك اليوم فى هذا الأمس ناعياً ، وأشهد أنى أعهدك فى كليهما شاعراً شادياً

إنك عاطفى رفيع ، وإنك عاطفى عميق ، ولا أقول قد تظهر منك العاطفة وتختفى ، ولا أقول هى قد تثور أو قد ترعوى ، فإن العاطفة عندك هى منك ، وهى قائمة عند المحراب تصلى دائما

* * *

ولقد حزنت عندما وصلتنى أناتك ، ثم « فرحت » بها لذاتها كما فرحت بها لأنها منك

أخذت أهمس لنفسى مترنما ، وحيداً صامتاً ، وأحيى بها الحزن صباحا ومغرباً ، وستبقى هى آمنة فى مكانها الحبيب ، كما سيبقى رنينها عالياً داوياً ـ وهكذا فى الوقت الذى تبقى كامنة ساكنة هى فى الحق ثائرة فائرة ...

إن مستودعها عندى ، رغم جرمه الصغير ، واسع كبير ، يملأ الدنيا حباً ، وتملؤه الدنيا تعباً ...

* * *

ولما آنستنى « الأنات الحائرة » غير حائرة ، ونزلت عندى قادمة راغبة ، أقبلت عليها راضياً شاكراً ، ثم رحت معها راشداً شارداً ...

وإذا أنا قد تأخرت فى النـداء فلست مقصراً ولا عامداً ، ولـكنها موجة الأسى تملـكت النفس بالهوى والقلب بالجـوى ، فاستكانت الروح نائمة ثم استيقظت على الصوت الذى أبعث به اليوم إليك مناجياً ...

* * *

وإن لى من الأصدقاء من هم أهل العاطفة الباكية الشاكية ، وحملة القلوب الحائرة الثابتة ، فذكرتنى أناتك بهم كما ذكرتهم بها ، لأنها إبداع مثل إبداعهم وعواطف من طراز عواطفهم

* * *

هذا قل من كثر ... وهذا كله فى كلية اللغة العربية فقط ... وله أشباه ونظائر فى الكليتين الأخريين ... وهى عبقريات أزهرية مدفونة من التقصير المعيب أن تعمى عنها عيون القائمين بالأمر فى الازهر الشريف المبارك ... وليذكر الذاكرون أن أعظم رجال النهضة فى مصر الحديثة كانوا ناساً كهؤلاء الناس المغمورين ، وأنهم جميعاً ، أو أكثرهم ، ممن للأزهر فى ثقافتهم أوفر نصيب ، عن قرب أو عن بعد . وأنه لو أتيح لكثير من هؤلاء النبغاء المغمورين سبيل الظهور والعمل لنفعوا عالم التأليف العربى بما لا يقدر عليه غيرهم ، ولانتفعت بهم نهضتنا الثقافية بما لا تنتفع به إلا منهم ، ولهذا لطائفة عظيمة منهم القيام بواجبهم الأدبى مكان زعماء تلك الفترة (بعد عمر طويل !)

وبعد ... فهذه ناحية من عبقرياتنا المدفونة توجد لها أشباه فى الجامعة المصرية وفى دوائر ثقافية أخرى نرجو أن نتكلم عنها وننبه إليها قريباً .

دمينى فخرية

(*) رسالة كان قد بعث بها الكاتب إلى صديقه الشاعر عزيز بك أباظة صاحب ديوان « أنات حائرة » ، وبينهما مودة من الصغر

الضخمة والأحباس الخرافية أن يغير هاتين الرسالتين كما يصنع بأشباههما ، فلا ينتفع بهما وبأمثالها العالم الاسلامى والمشتغلون بالأدب ... ومن رسائل التخصص فى المادة بحوث قيمة فى البلاغة وتاريخها ...

ومن أروع ما يلفت النظر من رسائل اللغة رسالة فى المبرد لا توجد إلا فى مخطوط ضخم فى دار الكتب العربية ، وكان لا بد أن يشهد أعضاء لجنة الامتحان هـذا المصدر بأعينهم ، فلما رفضت دار الكتب إعارة الطالب هذا المصدر ، اضطر إلى نسخه كله . . . فكم من الجهد والعناء تجشم هذا الطالب المسكين فى إنشاء رسالته الطريفة النادرة يا ترى ؟!

ذاك ويطول الكلام إذا استعرضنا رسائل التربية وعلم النفس وما تناول به الخريجون تاريخ التعليم الإسلامى فى مدارس بغداد والكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة وقرطبة ، وأصول التربية فى القرآن والسنة ... ثم مئات الرسائل فى مختلف أبواب النحو والصرف والبلاغة والبيان والعروض

ذهبت إلى « جوتيه » ش
وحيد !! لا . لست أنا وحيد
والصور العزيزة المحبوبة ...

ثم التفت إلى كاتب الفرد
يقول وكأنه يرد على صاحبه ـ
فى هذا العالم ...

فرجعت إلى صاحب التف
فإذا هو يُلقى القول الهادئ
كلما كانت الوحدة التى أعيش
أدعى إلى بعض الذكريات لل

ثم اتجهت إلى البحر الز
السيد فيكتور هوجو فإذا به
إن المفكر المُنبتّ كالصحرا
الضياء . .

ثم رأيتنى منذ عشرين
الغرب قولاً لم يتغير معى إلى
لا حاضر له ينظر دائما إلى
لا يرقب إلا مستقبلاً . ولكر
باستمرار إلى ماض يفوت ولا

ثم لقيت فى طريقى مجنو
الماضى ! هو القوى القدير . هو
فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله ...

* * *

ثم ذكرت كلاماً كان عج
وأن تنطوى صفحاتها على هذه العبرات جنب تلك الزهرات
مما جعلنى اليوم أسأل الأيام هل كان ذلك عن حاجة إلى الذوق ،
أم هى تنسيقات الحدائق والبيوت ، أم هى صفحات الحياة ... ؟

وجدتنى « أبكى لأنى أرى ما يبكينى . وهذا المحزون أقرؤوه
عنى السلام . كل له حزن يعنيه ، وما عرف الدنيا إلا حزين ..

اسمع التنهدات بعد الضحكات فاسمع ترجيع صدى لحزن
مضى ... ورنيناً لأنين سيأتى ... وأشعر فى ثنايا الضحكة نذير
الدمعة ... وأرى الابتسامة علامة الخوف من قرب الأسى ...

الألمان ، فإذا به يعجب ويقول
.. إننى أعيش مع الذكريات

ـ « أناتول فرانس » ، فإذا به
ما حاول المرء فإنه دائماً وحيد

ـ الواسع السيد جان جاك روسو
لاقى من الزمان شدته فيقول ـ
يها عميقة شاملة كانت الحاجة
ذا الفراغ ...

والشاعر الحائر والروح الثائر
غ القول على طريقته فيقول ـ
كئيب رغم الاتساع ، مظلم رغم

أستودع يومياتى الفرنسية فى
م ، فكنت أقول ـ إن من
سيه ، ومن كان له حاضر فهو
ليست الحياة حاضراً قائما يتحول
وت ...!

يناجى نفسه ويقول : الماضى !
توى القدير ! الماضى ! الماضى ...

إن دموع الأحزان هى أنقى دموع الإنسان ...
والبكاء أول ميراث الأحياء الكرام من الأموات الكرام »

* * *

ووجدتنى فى نفس الحديقة أرى فى الوقت ذاته الوجه الجميل
فى إطار من الزهر الجميل ، وأسمع الشعراء يترنمون بأناشيد
الربيع ، وكان ربيعاً ، وأرى الغانيات الحسان يمرحن ويسرحن
تحت الخمائل وبين الظلال ...

فرجعت مسرعاً إلى شاعر الحب والحياة السيد الفريد
دو موسيه ، فإذا به هادئ مطمئن ، يلقانى حزيناً باسماً ويقول
فى صوته الخافت ولغته السهلة النافذة : جميل أن تبكى وجميل أن
تبتسم ...

* * *

وأخيراً ... ذكرت نفحات بكلمات سمعتها من سيدة باسمة
الوجه ، صبوح نصوح ، تترنح وتقول : هل فى العالم حزين ؟
إننى فى عجب ! هل من يبكى وهذه الشمس تسطع فى السماء ،
وهذه الأرض سندسة خضراء ! لماذا البكاء وهذه الحياة حلم
وهى هباء ... ودمت لأخيك

(الهادى) راشد رستم

مجلس مديرية المنيا

يقبل عطاءات لغاية ظهر يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٤٤ عن (١) طبع مطبوعات للادارة الصحية (٢) ترميم مكتب بنى حسن الشروق . ويقدم الطلب على ورقة تمغة من فئة الثلاثين مليما للحصول على الشروط والمواصفات من الادارة نظير دفع ٣٠٠ مليم للاولى و ٢٠٠ مليم للثانية ١٩٦٦